(١) أسباب القائد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، أما بعد :

إننا اليوم لفي أشد الحاجة إلى عقيدة نجتمع عليها في حربنا مع أعدائنا ، عقيدة يعتقدها الأفراد ويتحرك بها القادة . إن تاريخنا مليء بالقيادات التي كان لها دور عظيم في الدفاع عن الأمة ومواجهة أعدائها. ولو درسنا هذه القيادات وخرجنا بما يمكن أن نسميه أسباب القائد أو عوامل القيادة لوجدنا أن هذه الأسباب ليست كثيرة :

أولها : الإيمان (تصديق) ، (علم القلب)

ثانيا : العقيدة (علم الدين) ، (علم اللسان)

ثالثا : التاريخ (خاص بزماننا ، زمن الغربة في الدين..)

رابعا : العقل (ملكة)

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد..

٣٠ رمضان ١٤٣٠

(٢) العَقْلُ فِي لِسَانِ العَرَب

مما جاء في لسان العرب عن العقل: (العقل الحِجى والنهى، ضد الحمق. والجمع: عقول.

وعقل فهو عاقل وعقول من قوم عقلاء. ابن الأنباري: رجل عاقل: وهو *الجامع لأمره* ورأيه مأخوذ من عَقلتُ البعير إذا جمعت قوائمه. وقيل: العاقل *الذي يحبس* نفسه ويردها عن هواها أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه *إذا حبس ومنع* الكلام. والمعقول: ما تعقله بقلبك والمعقول العقل. يقال: ما له معقول أي عقل. وهو أحد المصادر التي جاءت على مفعول كالميسور والمعسور. وعاقَلَه فعَقَلَه يعقُلُهُ بالضم كان أعقل منه والعقل التثبت في الأمور. والعقل القلب، والقلب العقل. وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه. وقيل: العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان. ويقال: لفلان قلب عقول ولسان سؤول. وقلب عقول: فَهْم. وعقل الشيء يعقله عقلا: فهمه. ويقال: أعقلت فلانا، أي ألفيته عاقلا. وعقَّلته: أي صيرته عاقلاً، وتعقل: تكلف العقل كما يقال تحلم وتكيس. وتعاقل أظهر أنه عاقل فهم وليس بذاك. وفي حديث الزبرقان: أحب صبياننا إلينا الأبله العقول. قال ابن الأثير: هو الذي يظن به الحمق فإذا فتش وجد عاقلا. والعقول فعول منه للمبالغة. وعقل الدواء بطنه يعقله ويعقله عقلاً: *أمسكه*. وقيل: أمسكه بعد استطلاقه. واسم الدواء العقول. ابن الأعرابي: يقال عقل بطنه واعتقل. ويقال: أعطني عقولا فيعطيه ما يمسك بطنه. ابن شميل. إذا استطلق بطن الإنسان ثم استمسك فقد عقل بطنه وقد عقل الدواء بطنه سواء. واعتقل لسانه امتسك. الأصمعي: مرض فلان فاعتقل لسانه إذا لم يقدر على الكلام. قال ذو الرمة: ومعتقل اللسان بغير خبل يميد كأنه رجل أميم. واعتقل: حبس. وعقله عن حاجته يعقله وعقله وتعقله واعتقله، حبسه. وعقل البعير يعقله عقلاً وعقله واعتقله. ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعا في وسط الذراع وكذلك الناقة. وذلك الحبل هو العقال والجمع عقل. وعقّلت الإبل من العقل شدد للكثرة .. وفي الحديث: القرآن كالإبل المعقّلة أي *المشدودة* بالعقال والتشديد فيه للتكثير. والعقال: *الرباط الذي يعقل به* وجمعه عقل. قال أبو سعيد: ويقال عقل فلان فلانا وعكله إذا أقامه على إحدى رجليه. وإنما قيل للدية عقل، *لأنهم كانوا يأتون بالإبل فيعقلونها* بفناء ولي المقتول ثم كثر ذلك حتى قيل لكل دية عقل وإن كانت دنانير أو دراهم.

قال الأزهري: والعقل في كلام العرب الدية سميت عقلا لأن الدية كانت عند العرب في الجاهلية إبلا لأنها كانت أموالهم فسميت الدية عقلا لأن القاتل كان يكلف أن يسوق الدية إلى فناء ورثة المقتول فيعقلها بالعقل ويسلمها إلى أوليائه. وأصل العقل مصدر عقلت البعير بالعقال أعقله عقلا وهو *حبل تثنى به يد البعير إلى ركبته فتشد به*. قال ابن الأثير وكان أصل الدية الإبل ثم قومت بعد ذلك بالذهب والفضة والبقر والغنم وغيرها.

قال الأصمعي: وأصله أن يأتوا بالإبل فتعقل بأفنية البيوت ثم كثر استعمالهم هذا الحرف حتى يقال عقلت المقتول إذا أعطيت ديته دراهم أو دنانير.

والمعاقل: الديات. جمع معقلة والمعاقل حيث تعقل الإبل. ومعاقل الإبل: حيث تعقل فيها. وفلان عقال المئين. وهو الرجل الشريف إذا أسر فدي بمئين من الإبل ويقال فلان قيد مائة وعقال مائة إذا كان فداؤه إذا أسر مائة من الإبل. قال يزيد بن الصعق أساور بيض الدارعين وأبتغي عقال المئين في الصياع وفي الدهر.

واعتقل رمحه *جعله بين ركابه وساقه*. وفي حديث أم زرع: واعتقل خطيا اعتقال الرمح أن يجعله الراكب تحت فخذه ويجر آخره على الأرض وراءه.

واعتقل شاته *وضع رجلها بين ساقه وفخذه فحلبها*. وفي حديث عمر: من اعتقل الشاة وحلبها وأكل مع أهله فقد برئ من الكبر. ويقال اعتقل فلان الرحل إذا ثنى رجله فوضعها على المورك قال ذو الرمة أطلت اعتقال الرحل في مدلهمة إذا شرك المومأة أودى نظامها أي خفيت آثار طرقها. ويقال: تعقل فلان قادمة رحله بمعنى اعتقلها ومنه قول النابغة: متعقلين قوادم الأكوار.

قال الأزهري: **سمعت أعرابيا يقول لآخر: تعقل لي بكفيك حتى أركب بعيري** وذلك أن البعير كان قائما مثقلا ولو أناخه لم ينهض به وبحمله *فجمع له يديه وشبك بين أصابعه* حتى وضع فيهما رجله وركب.

قال ابن الأثير نصب عقالا على الظرف أراد مدة عقال وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه حين امتنعت العرب عن أداء الزكاة إليه لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه قال الكسائي العقال صدقة عام يقال أخذ منهم عقال هذا العام إذا أخذت منهم صدقته وقال بعضهم: أراد أبو بكر رضي الله عنه بالعقال، *الحبل الذي كان يعقل به الفريضة* التي كانت تؤخذ في الصدقة إذا قبضها المصدق وذلك أنه كان على صاحب الإبل أن يؤدي مع كل فريضة عقالا تعقل به ورواء أي حبلا وقيل أراد ما يساوي عقالا من حقوق الصدق. وقيل إذا أخذ المصدق أعيان الإبل قيل أخذ عقالا وإذا أخذ أثمانها قيل أخذ نقدا. وقيل: أراد بالعقال صدقة العام.

يقال: بعث فلان على عقال بني فلان إذا بعث على صدقاتهم واختاره أبو عبيد وقال هو أشبه عندي.

قال الخطابي إنما يضرب المثل في مثل هذا بالأقل لا بالأكثر وليس بسائر في لسانهم أن العقال صدقة عام. وفي أكثر الروايات: لو منعوني عناقا وفي أخرى جديا وقد جاء في الحديث ما يدل على القولين فمن الأول حديث عمر أنه كان يأخذ مع كل فريضة عقالا ورواء فإذا جاءت إلى المدينة باعها ثم تصدق بها وحديث محمد بن مسلمة أنه كان يعمل على الصدقة في عهد رسولا فكان يأمر الرجل إذا جاء بفريضتين أن يأتي بعقاليهما وقرانيهما ومن الثاني حديث عمر أنه أخر الصدقة عام الرمادة فلما أحيا الناس بعث عامله فقال: اعقل عنهم عقالين. فاقسم فيهم عقالا وأتني بالآخر يريد صدقة عامين وعلى بني فلان عقالان أي صدقة سنتين.

و عقل المصدق الصدقة إذا قبضها ويكره أن تشترى الصدقة حتى يعقلها الساعي يقال: لا تشتر الصدقة حتى يعقلها المصدق أي يقبضها.

وعقل إليه يعقل عقلا وعقولا: لجأ. وفي حديث ظبيان: إن ملوك حمير ملكوا معاقل الأرض وقرارها. المعاقل الحصون واحدها معقل. وفي الحديث ليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل أي ليتحصن ويعتصم ويلتجئ إليه كما يلتجئ الوعل إلى رأس الجبل والعقل الملجأ. والعقل الحصن وجمعه عقول. قال أحيحة: وقد أعددت للحدثان عقلا لو ان المرء ينفعه العقول وهو المعقل. قال الأزهري أراه أراد بالعقول التحصن في الجبل يقال وعل عاقل إذا تحصن بوزره عن الصياد قال ولم أسمع العقل بمعنى المعقل لغير الليث وفلان معقل لقومه أي ملجأ على المثل. قال الكميت: لقد علم القوم أنا لهم إزاء وأنا لهم معقل.

وعقل الوعل: أي امتنع في الجبل العالي، يعقل عقولا. وبه سمي الوعل عاقلا على حد التسمية بالصفة وعقل الظبي يعقل عقلا وعقولا: صعد وامتنع، ومنه المَعْقِل وهو الملجأ وبه سمي الرجل. ومعقل بن يسار من الصحابة رضي الله عنهم. وهو من مزينة مضر ينسب إليه نهر بالبصرة والرطب المعقلي. وأما معقل بن سنان من الصحابة أيضا فهو من أشجع.

وعقل الظل يعقل إذا قام قائم الظهيرة. وأعقل القوم، عقل بهم الظل أي لجأ وقلص عند انتصاف النهار.

وعقال وعقيل وعقيل أسماء وعاقل جبل وثناه الشاعر للضرورة فقال يجعلن مدفع عاقلين أيامنا وجعلن أمعز رامتين شمالا قال الأزهري وعاقل اسم جبل بعينه وهو في شعر زهير في قوله لمن طلل كالوحي عاف منازله عفا الرس منه فالرسيس فعاقله وعقيل مصغر قبيلة. ومعقلة خبراء بالدهناء تمسك الماء. حكاها الفارسي عن أبي زيد قال الأزهري وقد رأيتها وفيها حوايا كثيرة تمسك ماء السماء دهرا طويلا وإنما سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن.) ا هـ.

الخلاصة:

١. رجل عاقل ⇦ الجامع لأمره
٢. عَقلتُ ⇦ جَمعت
٣. العاقل ⇦ الذي يحبس
٤. اعتقل ⇦ إذا حبس ومنع
٥. يعقله ⇦ أمسكه
٦. اعتقله ⇦ حبسه
٧. المعقّلة ⇦ المشدودة
٨. العقال ⇦ الرباط الذي يعقل به
٩. قيل للدية عقل، لأنهم كانوا يأتون بالإبل فيعقلونها
١٠. العقل ⇦ حبل تثنى به يد البعير إلى ركبته فتشد به
١١. واعتقل رمحه ⇦ جعله بين ركابه وساقه
١٢. واعتقل شاته ⇦ وضع رجلها بين ساقه وفخذه فحلبها
١٣. تعقل لي بكفيك ⇦ جمع له يديه
١٤. العقال ⇦ الحبل الذي كان يعقل به الفريضة
١٥. يعقلها ⇦ يقبضها
١٦. عقل ⇦ لجأ
١٧. المعاقل ⇦ الحصون
١٨. ليعقلن ⇦ ليتحصن ويعتصم ويلتجئ
١٩. العقل ⇦ الملجأ
٢٠. معقل ⇦ ملجأ
٢١. عقل ⇦ امتنع
٢٢. عقل ⇦ لجأ وقلص
٢٣. معقلة ⇦ تمسك الماء

والظاهر دوران ما سبق حول معنىً واحد.

(٣) حَدُّ العَقل

حد العقل:

- عقل النفس (الأدب، الثبات، العقل، الرشد، ..)
- عقل الأسباب (الفكر)
- عقل الأحداث (إذا تكرر صار ملكة)

أولاً، عقل النفس:

يقول أبي حامد الغزالي في الإحياء: (إن شهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر، لا ضعفاً وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة. ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة، وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك إذا لم يكن طبيباً، وإن كان يعتقد على الجملة أن فيها مضرة. لكن إذا كان علم الطبيب أتم، كان خوفه أشد، فيكون الخوف جنداً للعقل، وعدة له في قمع الشهوات وكسرها. وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من الجاهل، لقوة علمه بضرر المعاصي، وأعني به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالسة، وأصحاب الهذيان)

ثانياً، عقل الأسباب:

يقول ابن خلدون في مقدمته: (الفكر يدرك الترتيب بين الحوادث بالطبع أو بالوضع؛ فإذا قُصد إيجاد شيء من الأشياء، فلأجل الترتيب بين الحوادث لا بد من التفطن بسببه أو علته أو شرطه، وهي على الجملة مبادئه، إذ لا يوجد إلا ثانياً عنها ولا يمكن إيقاع المتقدم متأخراً، ولا المتأخر متقدماً. وذلك المبدأ قد يكون له مبدأ آخر من تلك المبادئ لا يوجد إلا متأخراً عنه؛ وقد يرتقي ذلك أو ينتهي. فإذا انتهى إلى آخر المبادئ في مرتبتين أو ثلاثة أو أزيد، وشرع في العمل الذي يوجد ذلك الشيء بدأ بالمبدأ الأخير الذي انتهى إليه الفكر؛ فكان أول عمله. ثم تابع ما بعده إلى آخر المسببات التي كانت أول فكرته. مثلاً؛ لو فكر في إيجاد سقف يكنه انتقل بذهنه إلى الحائط الذي يدعمه، ثم إلى الأساس الذي يقف عليه الحائط فهو آخر الفكر ثم يبدأ في العمل بالأساس، ثم بالحائط، ثم بالسقف، وهوآخر العمل. وهذا معنى قولهم: أول العمل آخر الفكرة، وأول الفكرة آخر العمل؛ فلا يتم وقوع الإنسان في الخارج إلا بالفكر في هذه المرتبات لتوقف بعضها على بعض. ثم يشرع في فعلها. وأول هذا الفكر هو المسبب الأخير، وهو آخرها في العمل. وأولها في العمل هو المسبب الأول وهو آخرها في الفكر. ولأجل العثور على هذا الترتيب يحصل الانتظام في الأفعال البشرية. وأما الأفعال الحيوانية لغير البشر فليس فيها انتظام لعدم الفكر الذي يعثر به الفاعل على الترتيب فيما يفعل يفعل، إذ الحيوانات إنما تدرك بالحواس ومدركاتها متفرقةً خليةً من الربط لأنه لا يكون إلا بالفكر. ولما كانت الحواس المعتبرة في عالم الكائنات هي المنتظمة؛ وغير المنتظمة إنما هي تَبَعٌ لها، اندرجت حينئذ أفعال الحيوانات فيها؛ فكانت مسخرة للبشر. واستولت أفعال البشر على عالم الحوادث، بما فيه، فكان كله في طاعته وتسخُّره. وهذا معنى الاستخلاف المشار إليه في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ فهذا الفكر هو الخاصة البشرية التي تميز بها البشر عن غيره من الحيوان. وعلى قدر حصول الأسباب والمسببات في الفكر مرتبة تكون درجة إنسانيته. فمن الناس من تتوالى له السببية في مرتبتين أو ثلاث؛ ومنهم من لا يتجاوزها، ومنهم من ينتهي إلى خمس أو ست فتكون إنسانيته أعلى. واعتبر ذلك بلاعب الشطرنج: فإن في اللاعبين من يتصور الثلاث حركات والخمس الذي ترتيبها وضعي، ومنهم من يقصر عن ذلك لقصور ذهنه. وإن كان هذا المثال غير مطابق، لأن لعب الشطرنج بالملكة، ومعرفة الأسباب والمسببات بالطبع، لكنه مثال يحتذى به الناظر في تعقل ما يورد عليه من القواعد. والله خلق الإنسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً) ص٣٤٦*

ثالثاً، عقل الأحداث:

يقول ابن خلدون في مقدمته: (اعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عملياً هو جسماني محسوس والأحوال الجسمانية المحسوسة، فنقلها بالمباشرة أوعب لها وأكمل، لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة. والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكريره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته. وعلى نسبة الأصل تكون الملكة. ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم، فالملكة الحاصلة عنه أكمل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر. وعلى

قدر جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته) ص٢٩٨ *

ويقول: (اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بد أن تصير ملكه متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني من المجرور أعني المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب. وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم أطول مما تقدره بكلام العرب، وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصار. فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات أي الأوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها. إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا. فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين، والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبة الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسمية إعراباً وتسمية الموجب لذلك التغير عاملاً. وأمثال ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو..) ص٤٤٢ *

ويقول: (اعلم ان صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الألفاظ لا في المعاني وإنما المعاني تبع لها، وهي أصل. فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخلص من العجمة التي ربي عليها في جيله ويفرض نفسه مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي، حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك أنا قدمنا أن اللسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها عل اللسان حتى تحصل. والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ، وأما المعاني فهي في الضمائر. وأيضاً، فالمعاني موجودة عند كل واحدٍ، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى، فلا يحتاج إلى صناعة. وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القالب للمعاني فكما أن الأواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف. والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء، كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال يختلف باختلاف طبقة الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها) ص٤٦٦ *

---

* *مقدمة ابن خلدون – دار صادر، بيروت*

(٤) المَلَكَاتُ

﴿ وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل، العقل هو القلب؛ أو هو في القلب. يقول تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج

إن هذا السيل من الأحداث الذي يرد على الأذن (أصوات) والعين (صور) ليستقر في الذاكرة دون إرادة له يحدثها المرء. ولكنه لا يلبث أن ينمحي منها ليحل ما بعده مكانه. أما ما يبقى في الذاكرة لأجل أطول فهي الأحداث المتعاقبة، ولا يكفي التعاقب المجرد، بل لا بد أن يتكرر هذا التعاقب ليتم العقل. وهذا النوع من العقل هو الذي تنشأ عنه الملكة، وكأن المرء قد ملك به. ولو تأملته لوجدته نوع من الملك والإحاطة، فهو بات يعلم ويدرك عواقب أو نتائج أو ما يلي الأحداث، ولكن في مرتبتين لا أكثر. وهذا لا شك يكون سريعاً لا يحس به. كما يشترط لحصول الملكة أن لا تطول المدة بين التعاقب وتكرره. ومن أوضح الأمثلة على هذا: (الحفظ). حفظ الأذكار أو القرآن أو الشعر أو الخطب..إلخ، بالنظر أو بالسمع. وبتكرار هذا النظر أو هذا السمع تحصل الملكة. وكلما زاد التكرار كانت الملكة أقوى، أما النسيان أو فقدان الملكة فيكون بإهمال التكرار المنشئ والحافظ لها بعد ذلك.

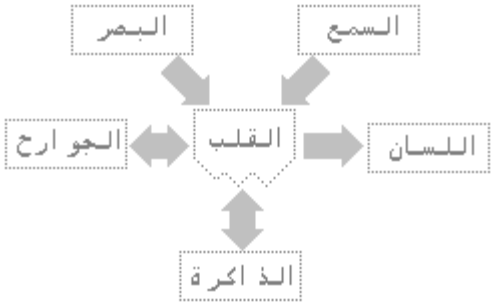

وهذه الملكة التي كونها العقل على أهميتها ليست هي العلم. ومن أهميتها أن المرء باستطاعته أن يعقل المعاني بالألفاظ. والأصوات بالصور، والأصوات بحركة الجوارح (الفعل)، والرائحة بالمعنى، والأفعال ببعضها... إلخ.

القوانين

ويمتاز نوع آخر من الملكات بإضماره قوانين تفيد صاحبها في إبداع التراكيب والأبنية.

يقول ابن خلدون (اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده. وتلك العبارة فعل لساني فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم. وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد؛ لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني من المجرور أعني المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم أطول مما تقدّره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً. فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات أي الأوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها إنما هي ملكة في ألسنتهم. يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين والسمع أبو الملكات اللسانية. ففسدت بما ألقي إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتياد السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسًا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبة الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسمية إعرابًا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وأمثال ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو)

قوله (ويلحقون الأشباه بالأشباه)، معناه أنهم قاموا بمثل ما يقوم به العقل عند تكون الملكة الأصلية، ولكن بدلاً من أن يحفظوه في الذاكرة فيصبح ملكة لهم، دونوه في الكتب، وتأمل الاسم الذي اختاره ابن منظور لكتابه (لسان العرب). والعرب كانوا في غنىً عن ذلك بسبب كثرة التوارد على السمع وقلة المخالفة كما ذكر.

والشاهد: القول أن هذه الملكات (التي فيها قوانين) أرقى من التي ليس فيها قوانين، مثل (الحفظ)، و(المعاني)، من حيث استفادة المرء منها في إنشاء التراكيب ومبان جديدة في كل وقت، بعكس الأولى.

ومن الملكات التي فيها قوانين، وهي أدنى من طبقة الحفظ والكلام والقراءة والكتابة (ملكة الأصوات)، وهي من أوائل ما يتعلمه المولود، يقول ابن خلدون (اعلم أن الحروف في النطق هي كيفيات الأصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة وأطراف اللسان مع الحنك والحلق والأضراس أو بقرع الشفتين أيضاً فتتغاير كيفيات الأصوات بتغاير ذلك القرع وتجيء الحروف متمايزة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر وليست الأمم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف فقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفاً..)، والأحداث المتعاقبة لهذه الملكة في (صوت:فعل) وتكون قد علمت الآن لم لا تحصل للأصم ملكة الكلام.

وكل صوت يقابله فعل للفم هو قانون، ومعلوم أن الأصوات محدودة ولكن الألفاظ التي يمكن للمرء من أن يكونها من هذه الأصوات (الحروف) ليست كذلك. ولو ارتقينا إلى الجمل لصارت الاحتمالات أكثر وأكثر، ونكون قد انتقلنا إلى ملكة أو علم البلاغة..

***

وأخيراً، يجتمع لقارئ القرآن من حفظه، ملكات عدة، فهو يتذكر الألفاظ أو الكلمات المكونة للجمل أولاً، ثم يتذكر لكل حرف تكون منه لفظ، مخرجه من الفم، ثم يتذكر المعنى المرتبط بكل لفظ، وهو مع هذا يتذكر قواعد النحو، وأحكام تجويد القراءة، وربما طبقات الأصوات إن كان قد تعلمها. أما عقله للمعنى العام للكلام (التدبّر)، فليس ملكة، وهو ما سميناه بعقل الأسباب.. فلو قرأ قوله تعالى في سورة المائدة ﴿ فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ ﴾ وتدبره لعلم أن الإحسان من أسباب دخول الجنة. ثم اعلم أنه لا تجتمع لديه هذه الملكات في نفس الوقت إلا لأنها مستغنية عن العقل، سواء في تكوينها أو في تذكرها. ولو ضعفت ملكة الحفظ لديه لاحتاج إلى عقله ليتذكر ما نسيه، فيكون ذلك على حساب التدّبر، وكذلك الحال لو ورد إلى سمعه أو بصره أو عقله من المعاني ما يشغله.

وهذا الباب واسع، لمن أراد الخوض فيه، ولكن نختم بالقول أن الحدث الآخر قد لا يكون للمرء (لجوارحه) دخل فيه، كأن يسير مثلاً في الطريق الذي اعتاد السير فيه، وقد تغير فيه شيئ، فيتنبه لذلك التغيير بدون إرادة وتفكير.. ففي حين كان يتوقع ترتيباً معينا للصور إذا به يبصر صورة جديدة، لا يذكرها. ولكنه لا يلبث بعد ذلك أن يستبدل الجديدة بالقديمة..

وهذا باب عظيم في تربية النفوس، ذلك بأن حدوث الملكة متعلق فقط بتوارد الأحدث المتعاقبة ثم تكرر هذا التعاقب على السمع أو البصر لا غير. فإن كان المرء في محيط الخير، انفعل بالخير في المآل، وإن كان في محيط الشر انفعل بالشر في المآل، فهذا كما يدل على ضعف الإنسان، يدل كذلك على نعمة الله الذي فطر الناس على هذا إن هم أحسنوا استعمالها في أنفسهم ومن يرعون. ونعيد القول لأهميته: إن سبب الملكة هو فقط توارد الأحداث المتعاقبة، ولا علاقة له بما يؤمن به أو يعلمه من صواب أو خطأ. أو ما هو حق فعلًا. فهو – كما ترى – باب عظيم في سياسة البشر، وفهم حركة الأمم ارتقاءً وانحطاطًا؛ في تربية الأجيال وتعليمها كذلك.

(٥) السَّبَب فِي لِسَانِ العَرَب

جاء في لسان العرب:

(والسَّبَبُ كلُّ شيءٍ يُتَوَصَّلُ به إلى غيره وفي نُسْخةٍ كلُّ شيءٍ يُتَوَسَّل به إلى شيءٍ غيرِه وقد تَسَبَّبَ إليه والجمعُ أَسْبابٌ وكلُّ شيءٍ يُتَوصّلُ به إلى الشيءِ فهو سَبَبٌ وجَعَلْتُ فُلاناً لي سَبَباً إلى فُلانٍ في حاجَتي وَوَدَجاً أَي وُصْلَة وذَريعَة. قال الأَزهري وتَسَبُّبُ مالِ الفَيءِ أُخِذَ من هذا لأَنَّ المُسَبَّبَ عليه المالُ جُعِلَ سَبَباً لوُصول المال إلى مَن وَجَبَ له من أَهل الفَيءِ. وقوله تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ قال ابن عباس المودّةُ وقال مجاهدٌ تواصُلُهم في الدنيا وقال أَبو زيد الأَسبابُ المنازلُ وقيل المودّةُ قال الشاعر وتقَطَّعَتْ أَسبابُها ورِمامُها فيه الوجهان مَعاً المودة والمنازِلُ واللهّ عز وجل مُسَبِّبُ الأَسْبابِ ومنه التَّسْبِيبُ. وقوله عز وجل ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللهُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ﴾ معناه من كان يَظُنّ أَن لن يَنْصُرَ اللهُّ سبحانه محمداً صلى اللهّ عليه وسلم حتى يُظْهِرَه على الدين كلِّه فلْيَمُتْ غَيظاً وهو معنى قوله تعالى فلْيَمدُدْ بسَبَب إِلى السماءِ والسَّبَبُ الحَبْل والسماءُ السَّقْف أَي فلْيَمْدُدْ حَبْلاً في سَقفِهِ ثم ليَقْطَعْ أَي ليَمُدَّ الحَبْل حتى ينْقَطِع فيَموتَ مخْتَنِقاً وقال أَبو عبيدة السَّببُ كلُّ حَبْل حَدَرْتَه من فوق وقال خالدُ بنُ جَنبَة السَّبَب من الحِبال القويُّ الطويلُ قال ولا يُدعى الحبلُ سَبباً حتى يُصْعَد به ويُنْحَدَرَ به وفي الحديث كلُّ سببٍ ونَسَبٍ يَنْقَطِعُ إِلاّ سَبَبي ونَسَبي النَّسَبُ بالولادةِ والسَّبَبُ بالزواج وهو من السَّبَبِ وهو الحَبْل الذي يُتَوَصَّل به إِلى الماءِ ثم اسْتُعِير لكلّ ما يُتوصَّل به إِلى شيءٍ كقوله تعالى ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ أَي الوُصَل والمَوَدَّاتُ. وفي حديث عُقْبَة رضي اللهّ عنه وإِن كان رزْقُه في الأَسباب أَي في طُرُقِ السماءِ وأَبوابها. وفي حديث عَوْفِ بن مالك رضي اللهّ عنه أَنه رأَى في المنامِ كأَنَّ سَبباً دُلِّيَ من السماءِ أَي حَبْلاً وقيل لا يُسَمَّى الحبلُ سبباً حتى يكونَ طَرَفُه مُعَلَّقاً بالسَّقْفِ أَو نحوه) ا هـ.

الخلاصة:

السبب هو كل شيء يتوصل به إلى الشيء، والسبب هو الحبل، ولا يكون الحبل سبباً حتى يكون:

١. أحد طرفيه معلق بشيء ثابت كسقف أو نحوه، أو

٢. حتى يتوصل به إلى غيره كأن يُصْعَد به أو يُنْحَدَرَ به.

وإلا لم يعد سبباً.

(٦) أصنافُ العلمِ

١. **علم هو ملكة عملية بالجوارح،**

قال تعالى {**ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله**} البقرة٢٨٢.

وقال تعالى {**علمه البيان**} الرحمن٤

وتحت هذه المرتبة تندرج الصنائع، وقد مر معنا في بيان هذا الصنف ما يغنينا عن الإعادة.

٢. **علم هو ملكة علمية في الفؤاد،**

يقول تعالى {**واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم**} البقرة١٠٢.

يقول ابن خلدون في الفصل الثاني من الباب السادس تحت عنوان: في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع، يقول:

وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده، والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله. وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا. ثم يقول:

والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب، والجسمانيات كلها محسوسة فتفتقر إلى التعليم. ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة إلى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند كل أهل أفق وجيل. ويدل أيضا على أن تعلم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه، فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها. فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم وإلا لكان واحدا عند جميعهم. ا هـ.

وها هنا فرق بين العلمين ينبغي التنبه له، وهو أن العلم الناشئ عن الملكة العملية لا يلزم منه إدراك قوانينها، ويظهر هذا أشد ما يظهر في ملكة البيان، وفي هذا يقول ابن خلدون في الفصل الخمسين من الباب السادس، تحت عنوان: في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم، يقول:

والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية، فليست نفس الملكة وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا،.. إلى أن يقول:

وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها، فإن العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل، ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودته أو شكوى أو ظُلامة أو قصد من قصوده، أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن، ولم يُجد تأليف الكلام لذلك، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربي. وكذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور، ولا شيئا من قوانين صناعة العربية. فمن هذا تعلم أن تلك الملكة هي غير صناعة العربية، وأنها مستغنية عنها بالجملة. ا هـ.

أما الجمع بين هذين العلمين فهو أن كليهما ملكة – الأولى بالحواس وخاصة السمع والبصر، والأخرى بالفؤاد – تفتقران إلى التكرار والعقل للأحداث كما بيناه آنفا.

وها هنا ملاحظة، أن ابن خلدون لمن تأمل ترجماته يجده قد فرق بين الصنائع والعلوم، فلقد ترجم للأولى في آخر الباب الخامس وقصد بها الأمور التي هي وسائل لدى أصحابها والمثمرة في الواقع ولا بد، وترجم للأخيرة في الباب السادس وهي التي قد لا تثمر إلا العلم بالقوانين المستنبطة أو المصنفة كالذي نقلناه في

صناعة العربية، بل ومنها ما قد يفسد عقل صاحبه ويقعده كعلم الكلام. ثم جعل التعليم للعلوم من جملة الصنائع. فاعقل هذا الفرق واعتبره وأنت تقرأ له.

٣. علم هو الإيمان والعقل للمعقولات،

يقول تعالى {**ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون (١٠٢)**} البقرة. فلقد أثبت لهم في البداية علما ضارا هو السحر ثم في آخر الآية نفى عنهم علما آخر مفيدا هو أو أصله الإيمان بالغيب.

أما العقل للمعقولات فقد مر معنا أن العقل والسبب كلاهما يسميان حبلا، وأن السبب لا يسمى حبلا حتى يكون أحد طرفيه معلقا بشيء ثابت كسقف أو نحوه، وحتى يتوصل به إلى غيره كأن يصعد به أو ينحدر به. يقول ابن خلدون في معنى القدر والسنة القدرية، في الفصل العاشر من الباب السادس في علم الكلام، يقول:

إن الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة، وعنها يتم كونه. وكل واحد من هذه الأسباب حادث أيضا، فلا بد له من أسباب أخر. ولا تزال تلك الأسباب مرتقية حتى تنتهي إلى مسبب الأسباب وموجدها وخالقها سبحانه لا إله إلا هو. ا هـ

فالأسباب المعقولة إذا عقلت على حقيقتها كان هذا علما بالحق، والحق واحد، وهذه الأسباب إما سنن أو صفات وخصائص جعلها الله في خلقه وثبتها فيه.

فالعلم – كما يقول ابن تيمية – هو ما قام عليه الدليل سواء كان الدليل سمعيا أو عقليا. والأسباب هي الأدلة.

فهذا العلم كما تبين يختلف عن سابقيه في أنه علم بالحق، فيشمل ما غاب عنا وجاءنا خبره عن رسول الله ﷺ أنه سيأتي في الدنيا كنزول المسيح عيسى عليه السلام، أو في الآخرة كالبعث والحشر، أو ما مضى كأخبار الأنبياء ونزول آدم عليه السلام من الجنة وسجود الملائكة له قبل ذلك، وكل ذلك غيب وحق، يقول تعالى {**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون (١٠٢)**} يوسف. وقال تعالى {**نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣)**} الكهف

كما يشمل الواقع الذي نعيشه ونعلمه بحواسنا وهي كذلك من الحق، يقول تعالى {**وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا**} يوسف١٠٠. فسمّى التأويل لما وقع: حقا. وقال تعالى في ضيف إبراهيم عليه السلام {**قالوا بشرناك بالحق**} الحجر٥٥.

كما يشمل سنة الله ومشيئته القدرية، قال تعالى {**وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون**} الأنعام٧٣. وهي السنة التي لا يخرج منها أحد من خلقه {**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)**} الأعراف

وهذه السنن منها ما يعرف بالخبر والهدى من الله وهي الأصول، يقول تعالى {**قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٨)**} البقرة

ومنها ما يعرف بالحس والنظر، وهي الفروع، فمن فرع على غير أصل من الوحي ضلّ وأضلّ.